المحاظرة الرابعة
نبذة تعريفية عن فريد الدين العطار

ابو طالب أو أبو حامد محمد بن إبراهيم المعروف بفريد الدين العطار؛ وُلد سنة ٥١٣هـ في قرية قرب نيسابور تسمى گدگن، وعاش في نيسابور.

ويذكر بعض مؤرخيه أنه عاش في شادياخ، وكانت ضاحية من ضواحي نيسابور، واتسعت حتى اتصلت بها، فلما أخرب الغز المدينة سنة ٥٤٨هـ نمت نيسابور الجديدة حول
شادياخ،١ ويقول العطار نفسه في منظومة لسان الغيب: إنه ولد في نيسابور.٢ وسواء أَوُلِدَ في نيسابور أو گدگن فقد عاش في نيسابور ومات فيها، وبها قبره.

وقد زرت قبره حينما مررت بنيسابور سنة ١٣٥٢هـ وهو في بناء مفرد في ظاهر البلد.

نيسابور إحدى مدن خراسان، وخراسان الإقليم الشمالي

الشرقي من إيران وكان يقال في العصور القديمة — على اختلاف حدوده باختلاف العصور — لخراسان الحالية وشمالي أفغانستان وقسم من تركستان.

ولا يتسع المجال هنا لبيان مكانة خراسان في العالم؛ شعوبه، وتجارته، وثقافته؛ إذ كانت موصل إيران وآسيا الغربية وأوربا وأفريقية وآسيا الشرقية والشمالية؛ ولكني أكتفي بالإشارة إلى صلة هذا الإقليم بالتصوف، كثير من الصوفية الأولين عاشوا هم أو آباؤهم في هذه البقعة من الأرض؛ فإبراهيم بن أدهم، وشقيق البلخي، وبشر الحافي، وفضيل بن عياض، وأبو يزيد البسطامي، وحاتم بن علوان الأصم، وأبو حفص الحداد، وأبو عثمان الحيري، والقشيري، والغزالي، وأبو سعيد بن أبي الخير، والعطار، وجلال الدين الرومي؛ كل هؤلاء من هذا الإقليم أصلًا أو منشأ.

ومدينة نَسَا في هذا الإقليم كانت تُسمى الشام الثانية؛ لكثرة ما بها من قبور الأولياء، ويقول ياقوت في نيسابور: «معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها … وقد خرج منها من أئمة العلم ما لا يحصى.»

وكانت خراسان في سلطان السلاجقة حينما وُلد العطار، والقائم بالملك منهم السلطان سنجر (٥١١–٥٢٢) وهو آخر السلاجقة العظام، وكان في حروب مع ملوك خوارزم ومع الغز، وبعد موت سنجر رجحت كفة ملوك خوارزم فاستولوا على خراسان إلى

غارات التتار، ولم تكن خراسان موطن العطار في عصره خالية من الحروب والفتن والثورات، وقد أصاب نيسابور حظها من هذه النوائب، وقد ذكر العطار في شعره فتنة الغز التي وقعت سنة ٥٤٨ وخربت فيها نيسابور وأُسر فيها السلطان سنجر، وذكر حوادث أخرى.